

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة الثانية عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديما على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علّم به بعض المعلمين من أصل يهودي، الذين هاجموا الرسول بولس شخصيا.

فردّ عليهم بولس مؤكدا أن المخلص المسيح قد دعاه شخصيا وأعلن له رسالة الإنجيل، وأن الرسل أفرزوه رسولا للأمم. وأوضح الرسول بولس أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط. وأن موعد الله لإبراهيم قد تمّ بمجيء المسيح. واعتبر أن عهد الناموس كان عهدا شرطيا ومؤقتا. وأنه في المسيح صار جميع المؤمنين من شعب الله.

وكشف الرسول بولس أنه في ملء الزمان، أرسل الله ابنه، أي كلمته الأزلي الذي كان متحدا مع الله، من نسل المرأة كما وعد. ولهذا حضر الله الجنس البشري منذ بدء الخليقة لمجيء المسيح في الوقت المعين. وكانسان كامل خضع المخلص المسيح للناموس وتممه، بأن دفع ثمن خطايانا بموته الكفاري على الصليب. وهكذا فتح الطريق لكي يصبح كل من يؤمن به من أولاد الله، ويصير الله أباه، ويرث كل مواعيد الله الثمينة.

بعد هذا الشرح المسهب لتاريخ معاملة الله مع الإنسان إلى أن أتى المخلص المسيح، بدأ الرسول بولس مناقشة المؤمنين في غلاطية الذين تأثروا بتعاليم أولئك المعلمين من أصل يهودي، وأرادوا حفظ الناموس، فكتب لهم قائلا: "لكن حينئذ إذ كنتم لا تعرفون الله أستعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة. وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحري عرفتم من الله، فكيف ترجعون أيضا إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تستعبدوا لها من جديد. تحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين. أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثا." (غلاطية ٤: ٨-١٠)

لقد كان معظم المؤمنين في غلاطية من أصل وثني، وهنا ذكرهم الرسول بولس بهذه الحقيقة، أنهم قبل إيمانهم بالمخلص المسيح، كانوا مستعبدين لآلهة وثنية زائفة، وكانوا يعبدون الأصنام التي هي من حجر وخشب. ثم أتى الوقت الذي عرفوا فيه الله الحي، الإله الحقيقي خالق الكون، وآمنوا بالمخلص المسيح. لا بل عرفهم الله أي منحهم الخلاص وحررهم من العبودية، عبوديتهم

للخطية، وعبوديتهم للآلهة المزيفة. وهنا وجه الرسول بولس تساؤله إليهم فقال: كيف تريدون العودة الآن من جديد إلى نوع آخر من العبودية؟ أي عبودية أركان الناموس الضعيفة الفقيرة التي لا تستطيع أن تبرر الإنسان أو تهبه الخلاص؟

أما أركان الناموس الضعيفة التي أراد المؤمنون في غلاطية العودة إليها فهي الختان أو التطهير، ونظام الأطعمة، أي هناك أطعمة مُحللة للأكل، وأطعمة غير محللة. وحفظ أيام السبت والأعياد والمواسم اليهودية. ولهذا عبّر الرسول بولس عن خوفه عليهم، من أن يكون قد تعب فيهم باطلا. فهو الذي بشرهم ببشارة الخلاص المفرحة، بشارة نعمة الله، لكنهم يندعون الآن بسهولة ببعض التعاليم، التي تريد أن تستعبدهم من جديد.

لكن أليس هذا ما يفعله الكثيرون حتى يومنا هذا؟ فبالرغم من مجيء المخلص المسيح وإعلانه لخلاص الله، مازال الكثيرون يظنون أن بإمكانهم الحصول على رضى الله، بممارستهم للفرائض والطقوس الدينية. بينما المطلوب منهم فقط هو الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلهم على الصليب، لكي ينالوا خلاص الله، ويحصلوا على التبرير، وبدون أي عمل يقومون به. أجل هذه هي نعمة الله لنا نحن البشر الخاطئة.

ثم عاد الرسول بولس للحديث عن بداية علاقته مع المؤمنين في غلاطية، فقال: "أتضرع إليكم أيها الإخوة كونوا كما أنا لأني أنا أيضا كما أنتم. لم تظلموني شيئا. ولكنكم تعلمون أنني بضعف الجسد بشرتكم في الأول. وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها بل كملك من الله قبلتموني كالمسيح يسوع. فماذا إذا تطويبكم. لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتموني. أفقد صرت إذا عدوا لكم لأني أصدق لكم." (غلاطية ٤: ١٢-١٦)

بدأ الرسول بولس حديثه في هذه الآيات المقدسة بالالتماس إلى المؤمنين في غلاطية أن يكونوا كما هو. أي يكونوا متحررين من عبودية حفظ الناموس. وكان أمرا مهما أن يصدر هذا الطلب من الرسول بولس نفسه. فهو كان قبل إيمانه بالمخلص المسيح يهوديا متعصبا، ويحاول بكل جهد وإخلاص تطبيق ما جاء في شريعة موسى. لكن بعد إيمانه بالمسيح وإدراكه لنعمة الله الغنية والواسعة، تحرر من عبودية الناموس وقوانينه الثقيلة. وليس هذا فحسب بل أضاف الرسول بولس معلنا لهم، أنه الآن وبعد أن تمتع بالحرية من قيود الناموس، أصبح مثلهم. وهم الذين لكونهم من الأمم غير اليهود، كانوا دائما يتمتعون بالحرية من عبودية الناموس.

وهذا كان أمرا مهما آخر على الرسول بولس أن يبلغهم إياه. فهم من الأمم غير اليهود، الذين آمنوا بالمخلص المسيح، ليسوا بحاجة أبدا لأن يضعوا أنفسهم من جديد، تحت عبودية أخرى هي عبودية الناموس. لا سيما بعد أن تبين لهم، أنه يجب حتى على

المؤمن بالمسيح من أصل يهودي، أن يتحرر من الناموس. وهم بعودتهم إلى الناموس، لا يسيئون إلى الرسول بولس، بقدر ما يسيئون إلى التعليم الصحيح وإلى أنفسهم أيضا.

ثم عاد الرسول بولس ليذكر المؤمنين في غلاطية أنه عندما أتى إليهم لأول مرة حاملا بشارة الإنجيل المفرحة، فقد استقبلوه بترحاب شديد، وقبلوه كملاك مرسل من عند الله، بل كأنه المخلص يسوع المسيح نفسه. كان هذا القبول بالرغم من رؤيتهم لضعف جسده، لا بل إنهم لم يزدروا به أو يحتقروه بسبب ضعفه هذا. أما هذا الضعف الذي أشار إليه بولس هنا، فمن المرجح أنه كان مرضاً في العينين، سبب له ضعفاً في الرؤية.

والذي يؤكد هذا الاحتمال أن الرسول بولس عاد وكتب في نفس هذه الآيات، أنه من كثرة تعلق المؤمنين في غلاطية به، أنهم كانوا على استعداد لكي يقلعوا عيونهم ويقدموها له. لقد أدرك المؤمنون في غلاطية عندما سمعوا رسالة الإنجيل من الرسول بولس لأول مرة، مدى البركة الروحية التي حصلوا عليها. ولهذا كان تقديرهم له كبيرا جدا، حتى أنهم كانوا مستعدين لكي يعطوه عيونهم. لكن ماذا حصل لهم بعد أن انخدعوا بأقوال أولئك المعلمين من أصل يهودي؟ لهذا تساءل الرسول بولس قائلا: هل صرت الآن عدوا لكم لأنني كلمتكم بالحق؟ أي كلمتكم بالتعليم الصحيح لرسالة الإنجيل.

مستمعي الكريم، لقد حاول بعض المعلمين قديما خداع المؤمنين الذين قبلوا خلاص الله المجاني، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح. لكن أتعلم أنه مازال الكثيرون حتى يومنا هذا ينخدعون بمثل هذه التعاليم؟ فما زال الكثيرون يعتقدون أن بإمكانهم إرضاء الله عن طريق أعمالهم الصالحة، وحفظهم لشريعته، وممارستهم للفرائض الدينية. مع العلم أن عبوديتنا للخطية هي المشكلة، وكل أعمالنا الصالحة لن نستطيع أن تمحو خطية واحدة. ولهذا أعلن الله خلاصه للبشر جميعا، عن طريق المخلص المسيح وعمله الكفاري من أجل خطايانا على الصليب. وما علينا نحن سوى أن نؤمن فقط، لكي نحصل على هذا الخلاص الكامل العجيب، ونتبرر أمام الله. فهل تصدق ما أعلنه الله؟ وتتجاوب مع محبته العظمى لك؟ وهل تراك تؤمن بهذا المخلص الفريد؟